



International Journal of Advanced Academic Studies

E-ISSN: 2706-8927

P-ISSN: 2706-8919

www.allstudyjournal.com

IJAAS 2020; 2(1): 166-170

Received: 04-11-2019

Accepted: 06-12-2019

البروفيسور سيد حبيب شاكر
العضو العلمي باكاديمية علوم افغانستان.

الرؤية الشرعية للخدعة مفهومها، مشروعيتها، شروطها و اهدافها

البروفيسور سيد حبيب شاكر العضو العلمي

ملخص البحث:

الخدعة هي فن الاستتار عن الحقيقة والقيام بأعمال تضليلية لتصرف العدو عن الاتجاهات والامكنة والأعمال، ويستعمل الحيلة، والمكر، والكيد، والاستدراج، والتمويه بمعنى الخدعة، وهي في الحرب مشروعة وتحسب فن من الفنون الحربية، فمن استطاع أن يدرك جميع أنواع هذا الفن وأساليبه سيقرب من النصر. ومن أنواع الخداع؛ الكمين، التظاهر بالتسليم، ارتداء أزياء العدو، صبغ الجسم بمواد معينة مماثلة لألوان الأشياء المحيطة، وبيع السلاح الفاسد للعدو. ويشترط في الخدعة؛ وجود حالة حربية، وأن تكون لها فائدة مطلوبة، وأن لا تتضمن الخدعة نقضا للعهد، وأن تؤدي إلى ارتكاب محظور. ومن أهدافها؛ التغلب على العدو، ومعرفة قوته، وتضليله، وإضعاف الروح المعنوية له، وتقليل الخسائر في صفوفنا. ويتحقق ذلك بالإعداد الجيد، وأن تكون الخدعة واقعية، والسرية، ودقة التخطيط، والبساطة والبعد عن التعقيد تساعد في نجاحها.

مقدمة

الحمد لله رب العلمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد: قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه وهو الصادق القائلين (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [1] (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [2] الخداع والمخادعة امر قد استعملها الإنسان منذ خلقته وقد بين القرآن المخادعة التي يستفيد منها المنافقون الذي يظهرون الإسلام ولا يعتقدون به في قلوبهم. الخدعة مشروعة بشرطها في الإسلام وينبغي للمسلم المقاتل أن يستعملها في الحرب كما يستعملها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، في هذا المقال نريد أن نبين الخدعة من منظور الشريعة الإسلامية باختصار.

اهمية الموضوع:

للخدعة أهمية لا ينكرها احد وقد كثر استعمال الخداع في العصر الحاضر في الحروب عند الشعوب كلها لكن كثير من المسلمين في الدول الإسلامية لا يعرفون عن حكمها ومكانتها في الإسلام لأن الاصل في سلوك امتنا ان يقوم على الوضوح والصرامة والصدق فلا يستعملون الخدعة او يحتاطون في استعمالها، فهمها من منظور شرعي امر ضروري ومن مقاصد الشريعة المحافظة علي المجتمع المسلم وتحقيق ذلك يسهل في استعمال الخدعة.

منهج البحث:

جمع المعلومات حول الخدعة من النصوص الشرعية ثم الاطلاع في الكتب المعاصرة حول الخداع للاستفادة من آراء المعاصرين في الخدعة، وقد وثقت المعلومات بالمراجع العلمية.

اسئلة البحث:

يستطيع القارئ خلال قراءة هذا المقال الحصول على اجوبة لاسئلة الآتية:

- 1- ماهو الخدعة و هل هي مشروعة في الإسلام؟
- 2- هل هناك ادلة تدل على مشروعيتها؟
- 3- ما هو اهداف الخدعة المعاصرة ؟

الخدعة في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط «خدعه (انخدع) خدع وأظهر أنه مخدوع وليس به والشيء تواري واستتر يقال انخدع الضرب والسوق كسدت(تخادعا) خدع كل منهما صاحبه وفلان أظهر أنه قد خدع (تخدع) تكلف الخداع(اختدعه) خدعه» [3]. «الخدع: إظهار خلاف ما يُخْفِيهِ. الخَدَاعُ: إِنْزَالُ الْعَيْرِ عَمَّا هُوَ بِصَدَدِهِ بِأَمْرِ يُبْدِيهِ عَلَى خِلَافِ مَا يُخْفِيهِ. وَالْأَسْمُ الْخَدِيعَةُ، وَقِيلَ: الخَدْعُ والخَدِيعَةُ الْمَصْدَرُ، والخَدْعُ والخَدَاعُ الْأَسْمُ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الْحَرْبُ خُدَعَةٌ»، [4] اذا في الخدعة ثلاث لغات مشهورات بفتح الخاء للمرة. أي أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة. فإنها قد تقوم مقام الحرب. وبضمها مع السكون اسم من الخداع. وبضمها مع الفتح معناها أنها تعناد الخداع وتكره كاللعبة والضحكة أي أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم[5].

Corresponding Author:

البروفيسور سيد حبيب شاكر
العضو العلمي باكاديمية علوم افغانستان.

مفهوم الخدعة:

أن الإنسان قد يورث في أمور تحتاج الحرب فيها إلى تورية، بأن يظهر للأعداء أشياء غير مطابقة للواقع، سواء كانت حسية أو معنوية، ولكنه يأتي بكلام لا يكون واضحاً جلياً في أنه مخالف للواقع وغير مطابق له ومعلوم أن التورية يكون الإنسان فيها صادقاً؛ لأنه يقول كلاماً يريد به شيئاً وغيره يفهم غير ذلك. الخداع هو علم وفن تخطيط مجموعة من الإجراءات المنسقة و تنفيذها، لإخفاء الحقائق وإقناع العدو بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوات، وإمكاناتها الحقيقية، وتوفده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة، التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة، لإعداد القوات المسلحة واستخدامها، لتحقيق أهداف معينة. مثل ما يحصل في الحروب من إظهار القوة وإن كان هناك شيء من الضعف، مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء، حين جلس الكفار في الجهة التي هي خلف الحجر ينظرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون، فكان بعضهم يقول لبعض: يقدم عليكم قوم وهنتهم حمى يثرب، يعني: أنهم ضعاف، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى، حتى إذا كانوا بين الركن والحجر الأسود لم يرملوا، بل يمشون ليحصل لهم شيء من الراحة بعد هذا الرمل، والمقصود من ذلك إظهار قوتهم لأعدائهم الذين قالوا تلك المقالة، حتى عاد بعضهم يحدث بعضاً ويقول: هذا الكلام الذي قلتموه غير صحيح، وذلك بعدما رأوه يرملون. وكان هذا أول مشروعية الرمل، ثم إنه بعد ذلك شرع للناس حتى يتذكروا أن المسلمين كان فيهم ضعف ثم إن الله تعالى أعز الإسلام وأهله؛ ولهذا رمل الرسول صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع من الحجر إلى الحجر، في الأشواط الثلاثة.

وقال ابن قيم رحمه الله [6]: مدار الخداع على اصلين: اظهار فعل ما غير مقصوده الذي جعل له. او اظهار قول غير مقصوده الذي وضع له. قال ابن تيمية [7] المخادعة هي الاحتيال والمراوغة لتحصيل المقصود [8] والخلصة ان الخدعة هي المراوغة والاحتيال وهي ضرورة عسكرية في المعارك والخدعة فن الاستتار عن الحقيقة والقيام باعمال تضليلية لتصرف العدو عن الاتجاهات والامكنة والاعمال.

الفاظ يستعمل بمعنى الخدعة:

ونريد أن نبين الالفاظ التي تأتي بمعنى الخدعة لان لهذه الالفاظ دور مهم في الاستدلالات التي استدل بها العلماء في جواز الخدعة وعدم جوازها فنذكرها بالترتيب التالي:

1. **الحيلة:** تستعمل هذه الكلمة بمعنى الخدعة احيانا ووردت في القرآن الكريم في موضع واحد الا وهي (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَبِيحُونَ حَيْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) [9].
2. **المكر:** وقد وردت كلمة المكر في القرآن الكريم في سورة فاطر (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّبِيَّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) [10].
3. **الكيد:** وقد وردت هذه الكلمة في سورة يوسف (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قِيلَ وَغَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَغَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [11].
4. **الاستدراج:** قال تعالى (فَدْرَنِي وَمَنْ يَكْدِبُ بِهَذَا الْخَبِيثِ سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ) [12].
5. **الاستهزاء:** قال تعالى (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [13].
6. **التمويه:** وهو مجموعة التدابير الخاصة التي يتخذها الافراد او القوات للاختفاء عن رصد العدو البري والجوي- بكل اشكاله البصري والتصويري والالكتروني- دون ان يعطل هذه الاختفاء الهمة القتالية [14].

هناك الفاظ اخرى تستعمل مكان الخداع لكننا نكتفي بالالفاظ التي وردت في النصوص الشرعية حيث لها تأثير في حكم جواز الخدعة وعدم جوازها.

مشروعية الخدعة:

قد وردت نصوص تدل على ان الخدعة مشروعة في الاسلام و تستفاد منها في الحروب ضد الاعداء و جدير بالذكر ان نشير الى النصوص التي تثبت مشروعية الخدعة و اليك جملة من الاحاديث النبوية التي تصرح على ان الحرب خدعة و قد استفاد النبي عليه السلام منها في مواقع متعددة.

- 1- منها انه عليه السلام حشد عشرة آلاف مقاتل، عند فتح مكة المكرمة، و وصل بهم بالقرب منها على نحو لم يتطعن معه الكفار لشئ من هذه الحشود، حتى فوجئوا بها.
- 2- و كذلك كانت أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أنه سيقوم بالغزو ولكنه لم يفصح عن المكان، و أعلن بأنه ينوي مكانا آخر حتى يفاجئ من ينوي، فقد فاجأ (خبير) في الصباح فكانوا يصيحون، علي، والخميس، (علي

رضى الله عنه كان قائد الجيش، و الخميس هو الجيش) لأنهم تحيروا من مجته رضى الله عنه.

3- لقد وضع البخاري في كتابه بابا مستقلا للخدعة في الحرب و روي (عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْكَ كَسْرَى، ثُمَّ لَا يَكُونُ كَسْرَى بَعْدَهُ، وَ قَيْصَرٌ لَيْهْلَكُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَ تَلْتَفَتَ كُوْرُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ سَمَى الْحَرْبَ خَدْعَةً) هذا الحديث صريح في جواز الخدعة في الحرب. ذكر بعض أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا يوم الأحزاب لما بعث نعيم ابن مسعود أن يحول بين قريش و غطفان [15] هذا السياق تدل على ان الحديث ورد في موضع يبين النبي عليه السلام حالة الحروب التي دارت بين كسرى و قيصر و الحروب التي ستأتي بينهم و بين المسلمين و بين النبي عليه السلام ان الحرب خدعة. و على كل حال الحديث تثبت جواز الخدعة في الحروب عامة و لم يمنع النبي عليه الصلاة و السلام الصحابة عن الخداع في الحروب.

4- و ورد ايضا في بعض كتب الحديث انه عليه السلام قال: كل الكذب يكتب على ابن آدم، الا ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب بين اثنين ليصلح بينهما و رجل كذب في خدعة حرب [16]. و من المعلوم أن أكثر الخدع تقوم على كذب فأجاز النبي عليه السلام الكذب في الحرب لأنه لا يمكن المخادعة بالكذب. قال ابن تيمية: "واعلم ان المعارض كما تكون بالقول فقد تكون بالفعل وقد تكون بهما مثال ذلك ان يظهر المحارب انه يريد وجهاً من الوجوه و يسافر الى تلك الناحية ليحسب العدو انه لا يريد ثم يكر عليه، او يتردد المبارز بين يدي خصمه ليظن هزيمته ثم يعطف عليه، وهذا من معنى قوله (الحرب خدعة) وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة و رى بغيرها" [17].

5- كان للعرب كلام يدرون به عن انفسهم العقوبة والبلايا، لقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم طليعة للمشركين، وهو في نفر من اصحابه. فقال المشركون: ممن انتم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن من ماء) فنظر بعضهم الى بعض، فقالوا: احياء اليمن كثيرة لعلهم منهم. وانصرفوا و اراد صلى الله عليه وسلم بقوله: (نحن من ماء) [18] نصرافهم و أن لا يفهموا عن حقيقة الأمر لأنه يمكن أن يكونوا من الأعداء او من جواسيسهم. هذا كان تعريضا للنبي عليه السلام و كان هدفه منه قوله تعالى (خلق من ماء دافق) [19]. اراد النبي عليه السلام ان لا يكذب و ان لا يفشي اسرار الحرب لمن لا يريد ان يطلع عليه.

6- وكان من الخدعة أن يقول لأصحابه قولاً لا يري من سمعه أن فيه ظفراً أو أن فيه أمراً يعقو أصحابه وليس الأمر كذلك حقيقة ولكن يتكلم على وجه لا يكون كاذباً فيه ظاهراً على ما روي أن علياً رضي الله عنه في حروبه كان ينظر إلى الأرض ثم يرفع رأسه إلى السماء يقول: ما كذبت ولا كذبت بري من حضره أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما ابتلي به وأمره في ذلك بما أمر به أصحابه ولعله لا يكون كذلك فهذا ونحوه لا بأس به وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الجنة لا يدخلها العجائز " فلما سمعت العجوز ذلك جعلت تبكي حتى بين لها صفة أهل الجنة حين يدخلونها. ومن هذا النوع أن يقيد كلامه بلعل وعسى فإن ذلك بمنزلة الاستثناء يخرج الكلام به من أن يكون عزيمة على ما قال: بلغنا أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق واسم هذا الرجل مذکور في المغازي نعيم بن مسعود التقفي قال: يا رسول الله إن بني قريظة قد غدرت و بايعت أبا سفيان وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلعلنا نحن أمرناهم بهذا، فرجع إلى أبي سفيان وقال: زعم محمد أنه أمر بني قريظة بهذا فقال: أنت سمعته يقول هذا قال: نعم قال: فو الله ما كذب وتمام هذه القصة ذكر في المغازي من وجهين: أحدهما: أن بني قريظة كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن جاء الأحزاب ومعهم حبي بن أخضب رأس بني النضير فما زال بكعب بن الأشرف وبني قريظة حتى نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم [20].

7- و يظهر مشروعية الخدعة من هجرة النبي عليه الصلاة و السلام: الف: حيث ترك علياً رضي الله عنه في فراشه، و ذلك للتمويه و تضليل الاعداء حتى يتمكن من الابعاد و هم يظنونهم نائماً.

ب: و كذلك بدل ان يصعد النبي عليه السلام الى الشمال، حيث سيوجه القوم اهتمامهم، هبط قليلا الى الجنوب.

ج: و كان لايسير في احدى الطريقين العاديين بين مكة و المدينة و انما يتخذ طريقاً ثالثاً.

د: و كذلك اخفي موعد الهجرة من الناس و لم يخبر به الا نفر قليل.

هذا كله يدل على ان المخادعة تجوز للتمويه اعداء الاسلام [21].

قال الامام النووي: إتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب و كيف أمكن الخداع الا ان يكون فيه نقض عهد فلا يحل وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة اشياء احدها في الحرب قال الطبري انما يجوز من الكذب في الحرب المعارض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحل. والظاهر اباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض افضل [22]. هذه خطة يوصي العقل والدين معا باتباعها [23]. و نستخلص مما ذكرنا أن الخدعة في الحرب مشروعة و هي فن

من فنون الحرب فمن استطاع أن يدرك جميع أنواع هذا الفن و أساليبه سيقرب من النصر.

من صفات المؤمن المقاتل:

ومن شروط الجاسوس المسلم: " أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه الى كل موصل، ويدخل بحيلته الى كل مدخل، ويدرك مقصده، من اي طريق امكنه، فإنه متى كان قاصرا في هذا الباب اوشك ان يقع ظفر العدو به " [24]. و لذلك يهتم العسكريون المعاصرون في هذا المجال حتى يكونوا عارفين بما يدور حولهم. الدهاء والحيل والخديعة والتمويه، من احد صفات المقاتل او موظف استخبارات الاسلام. فإن الناس يخذعون بالكلام المعسول والالفاظ المزوقة، فإذا لم يكن المؤمن محيطا بمقاصد هذه الدعوات فإنه لا يستطيع أن يؤدي وظيفته [25]. وقال عمر بن الخطاب: ان في معاريض الكلام لمنوحة من الكذب [26]، وتفسير هذا: ان يكلم من يبارزه شئ ولين الامر كما قال ولكنه يضمخ خلاف ما يظهره، كما فعل علي رضي الله عنه يوم الخندق، حين بارزه عمر بن عبيدود [27]. قال: أليس قد ضمنت لي ان لا تستعين علي بغيرك؟ فمن هؤلاء الذين دعوتهم؟ فالتفت كالمستبعد لذلك، فضرب علي ساقه ضربة وقطع رجله، ومن امثال العرب: رب حيلة انفع من قبيلة [28]. ومعنى الخدعة هي مجمل التدابير الرامية الى اخفاء العمليات الحقيقية بتحقيق القسط الاكبر من الفاعلية والمفاجأة، وقلب توازن قوته المادية والمعنوية. و التمويه يشبه الخدعة لأن التمويه مجموعة التدابير التي يتخذها الافراد او القوات، للاختفاء عن رصد العدو البري و الجوي بكل اشكاله (البصري، والتصويري، والالكتروني)، دون ان يعطل هذا الاختفاء الهمة القتالية [29]. قد يستعمل الغدر و الخداع بمعنى واحد في النصوص الفقهية لكن الغدر في الحقيقة يكون في نقض العهد اما الخدعة فيجب ان لا يكون فيها نقض للعهد الذي وقع عليه بين المسلم و المحارب، حتى لا يُعمم حكم جواز الخدعة و ينبغي ان نضع ان الخدعة جائزة في الحرب أما الغدر فكله ممنوع، و إنما الخدعة في الحرب نوع واحد من أنواع الغدر وهي جائزة. ومن المعلوم أن الخداع في الحرب ربما يكون نوعاً من الكذب، أو ربما يستلزم الكذب، وحينما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام في إثر أبي الحقيق أو غيره من المشركين والمنافقين لقتلهم قال من تولى المهمة: يا رسول الله! انن لي، أي: أن أقول فيك قولاً لا أعتده، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم [30].

ما ورد عن السلف من الخداع:

١- ومن الخدعة المحمودة التي نقلت عن سلفنا الصالح خدعة كعب بن الأشرف و ذلك انه كان من بني نيهان ابن طسي حليفا لبني قريظة، و امه من بني النضير و كان عدو الله و لرسوله يهجو النبي صلى الله عليه وسلم و اصحابه، و يحرض عليهم كفار فريش في شعره، ثم خرج الى مكة بعد بدر، فجعل يرثي قتلى بدر و يحرض قريشا، و عاد الى المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في اعلانه الشر و قوله الأشعار. وقال: من لي بابن الأشرف، فقد آذاني) فقال محمد بن مسلمة و نفر من الأوس و منهم ابونائلة فاتاه ابونائلة [31] و هو ينادي قومه، و كان هو و محمد بن مسلمة اخويه من الرضاة فتحدثا و تناشدا الأشعار حتى قام القوم، فقال لبني: كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء؛ و... فقال كعب: قد كنت احذثك بهذا الامر سيصير، فقال ابونائلة: ومعني رجال من اصحابي على مثل رأيي، و قد اردت ان أتيتك بها فتياع منك طعاما و ثمرا، و نرهنتك ما يكون لك فيه ثقة، و اكنم عنا ما حدثتك من ذكر من ذكر محمد؛ قال: لا اذكر منه حرفا، لكن اصدقني مالذي تريدون من امره؟ قال: خذلانه و التثني عنه؛ قال: سررتني، فماترهنوني؟ قال: الحلقة؛ فرضي. و قام ابونائلة من عنده على ميعاد، فأتي اصحابه فأجمعوا ان يأتوه اذامشي لميعاده، و اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معهم و وجههم من البقيع، وقال: (امضوا على بركة الله و عونه) و ذلك بعد ان صلوا العشاء في ليلة مقمرة مثل النهار، فأتوا ابن الأشرف، فجعلوا يتحادثون ساعة ثم مشوا به ليتحادثوا بقية ليلتهم، فأدخل ابونائلة يده في رأس كعب وقال: ما أطيب عطرِكَ هذا! ثم مشى ساعة و عاد لمتلها و اخذ يقرون رأسه فضربه الجماعة بأسياقهم ووضع محمد بن مسلمة مغسولامعه في سرة كعب حتى إنتهى الى عانته فصاح صيحة اسمعت جميع أطام اليهود، فأشعلوا نيرانهم. و احتزم الجماعة رأس كعب و احتملوه، و اتوا رسول صلى الله عليه وسلم [32]. هذه كانت خدعة استخباراتية استعملها اصحاب النبي عليه الصلاة و السلام ضد عدو معاند يؤذي النبي عليه الصلاة و السلام و تدل هذه الواقعة على مشروعية هذا النوع من الخداع ان تستعمل ضد العدو لأن النبي صلى الله عليه وسلم و افق اصحابه في استعمالها ضد العدو المعاند.

٢- وعن ابي يوسف قال: دعا المنصور اباحنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، و كان يعادي اباحنيفة: يا أمير المؤمنين هذا ابوحنيفة يخالف جدك، كان عبدالله بن عباس يقول: اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم او يومين جاز الاستثناء، و قال ابوحنيفة: لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين، فقال ابوحنيفة:

يا أمير المؤمنين، ان الربيع يزعم ان ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: و كيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم، فيستثنون فتبطل ايمانهم، فضحك المنصور، وقال: يا ربيع، لاتعرض لابي حنيفة، فلما خرج ابوحنيفة قال له الربيع: اردت ان تشيط بدمي، قال: لا، ولكنك اردت ان تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي [33]. يسمون العلماء هذا النوع من المعاريض القولية التي تشبه الخداع و يمكن ان يستعملها المسلم لدفع ضرر عن نفسه او عن الآخرين كما استعملها امام ابي حنيفة رحمه الله لكي يتخلص عن مشكلة اوقعه فيه احد الافراد.

٣- وعن محمد بن الحسن قال: دخل على رجل اللصوص فأخذوا متاعه و استحلوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا، قال: فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه، فجاء الرجل يشار اباحنيفة، فقال له احضرنى امام حيك و المؤذن والمستورين منهم فأحضرهم اياه، فقال لهم ابوحنيفة: هل تحبون ان يرد الله على هذا متاعه، فقالوا: نعم، قال: فاجمعوا لي كل داعر و كل متهم فادخلوهم في دار او مسجد، ثم اخرجوهم واحدا واحدا، و قولوا له: هذا لصدك؟ فإن كان ليس بلص قال: لا، و إن كان لصدك فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ما امرهم به ابوحنيفة، فرد الله عليه جميع ما سرق منه [34]. من النظر في هذه القصة يظهر ان ابا حنيفة رحمه الله قد استطاع بحيلته ان يمسك بلص، فأذالك يقول العلماء ان استعمال الحيلة و الخدعة لاجل حفظ حقوق الناس فلا بأس به. اما استعمال الخدعة لاجل غصب اموال الناس او ابطال الحقائق فلا يجوز تلك الخدعة لان الامور بمقاصدها.

٤- روي زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المغيرة بن شعبه [35] على البحرين فكرهه، قال فعزله عنهم، قال فخافوا ان يرده عليهم، فقال دهفانهم ان فعلتم ما امركم لم يرد علينا، قالوا: مرنا بأمرك قال: تجمعون مائة الف درهم حتى اذهب بها الى عمر و اقول ان المغيرة اختان هذا ودفعه الي، قال فجمعوا له مائة الف درهم قال فأتى عمر فقال: ان المغيرة اختان هذا ودفعه الي، قال. فدعا عمر المغيرة. فقال ماتقول في هذا؟ قال: كذب اصلحك الله، انما كانت منتي الف درهم، قال فمأحملك على ذلك قال العيال والحاجة، قال فقال عمر للهقان: ماتقول؟ قال: لا والله لأصدقك، والله مادفع الي قليلا و لا كثيرا ولكن كرهناه وخشينا ان ترده علينا، قال فقال عمر للمغيرة مأحملك على هذا؟ قال: الخبيث كذب علي فأردت ان اخزيه [36]. هذه خدعة استعملها الصحابي لدفع خدعة اخرى قد دبرت له فمن هذا النوع من الخدع يجوز ان يستفيد منها المسلم سواء كانت استعمالها لمحافظة حقوق الافراد او لمحافظة كيان دولة الاسلام.

٥- روي زيد بن اسلم عن ابيه قال: قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمين فقسما بين الناس فرأى فيها حلة رديئة. فقال: كيف اضع بهذه اذا اعطيتها احدا لم يقبلها اذا رأى هذا العيب فيها؟ قال: فأخذه فطواها فجعلها تحت مجلسه و اخرج طفها، و وضع الحلل بين يديه فجعل يقسم بين الناس قال فدخل الزبير بن العوام وهو على تلك الحال قال فجعل ينكر تلك الحالة فقال له ما هذه الحلة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ماهيه ماشأنها؟ قال: دعها عنك قال: فأعطينها، قال انك لاترضاها قال: بلى قد رضيتها، لما توثق منه و اشترط عليه ان يقبلها ولا يردنها رمى بها اليه، فلما اخذها الزبير و نظر اليها اذاهي رديئة فقال: لا اريدها فقال عمر، قد فرغت منها فأجازها عليه و ابي ان يقبلها منه [37]. فهذا نوع آخر من الخدعة التي استعملها عمر بن الخطاب في تقسيم الحلل بين اصحابه و فيها نوع من الترفيه على اصحابه.

انواع الخداع

هناك انواع كثيرة من الخداع تستعمل في الحروب بعضها قديمة و بعضها تستعمل قديما و حديثا و في هذا المجال نشير الى بعض انواعها التي اشتهرت. الف: الكمين خدعة اجازها العلماء و ليس في الكمين غدر، و الكمين هو ترتيب امنى غايته مفاجأة العدو، الكمائن تشكل العمود الفقري في حرب العصابات و تهدف الكمائن الى ايقاع الخسائر المادية و المعنوية في صفوف الاعداء، و له تأثير في قطع الامدادات و المساعدات الخارجية عن المنطقة التي تتمركز فيها العدو، و من طريقه تحصل المسلم على الأسلحة و المعدات و المستندات، بواسطة الكمائن و بواسطته نستطيع رصد تحركات العدو.

ب: التظاهر بالتسليم نوع من الخداع الذي اجازها العلماء، هناك فرق بين التظاهر بالتسليم و التصريح به، الاول جائز اما التصريح فيحسب غدرا فلا يجوز استعماله.

ج: من الخداع المستعمل في العصر الحاضر ارتداء أزياء العدو ليسهل التسلل الى صفوفه دونما خطر و للتغلب عليه بسهولة و بأقل تكلفة.

د: وضع اغصان الاشارة على جسم الانسان او صبغ الجسم بمواد معينة مماثلة لألوان الاشياء المحيطة بالبيئة من اجل تضليل العدو.

هـ: بيع السلاح الفاسد للعدو نوع آخر من الخداع المستعمل في هذا العصر و هذه السياسة تطبقها الدول الحديثة في الوقت الحاضر.

و: و من أنواع الخداع المعاصر، الخداع الاعلامي و هو استخدام وسائل الاعلام غير الرسمية لنشر خبر كاذب يستهدف المساهمة في خداع العدو عن نوابنا، و الهدف منه اعطاء تدابير الخداع المختلفة قسطا اكبر من المصادقية. والجدير بالذكر ان للخداع انواع كثيرة و لكل واحد اساليب متنوعة فمن الاولى للمسلم ان يعرف مختلف انواع الخداع لاستعمالها ضد الاعداء و لدفع خداع العدو في مواقع استعمال الخداع من جانب الاعداء. و تكمن نجاح الخداع في امور ينبغي للمسلم ان يعرفها حتى تكون كيسة وقت استعماله و منها مايلي:

1. يجب أن يكون التخطيط للخدعة مبني على علم ودراية بأساليب العدو الحربية.
2. ينبغي للمخادعين أن يكونوا ممن يعتمد عليهم في تنفيذ إجراءات المخادعة حتى لا يشك العدو في أعمالهم، ففي غزوة الأحزاب كان لأحد المسلمين والذي لم يعرف الكفار بإسلامه بعد، الدور الكبير في خداع أبو سفيان و اليهود و إقناعهم بالرجوع، و الإنسحاب من المعركة.
3. تجهيز الأجهزة الالكترونية الحديثة و سائر أنواع الاتصالات و تسخيرها لمخادعة العدو.
4. التجهيزات التوجيهية الكاذبة لصرف إنتباه العدو عن المواقع الحقيقية لقواتنا.

شروط الخدعة:

حتى لاتخرج الخدعة عن الاخلاق الاسلامية العامة وضعت شروط لاستعمالها و نكتفي باختصار على ذكرها:

- 1- وجود حالة حربية شرط لمشروعية الخدعة و لانتهاية حالة الحرب عند عقد هدنة مؤقتة. و للحرب عواملها من احتلال بلاد المسلمين او العدوان على المسلمين او على حلفائهم.
- 2- و يشترط لجواز الخدعة في الاسلام ان تكون لها فائدة مطلوبة، لان الشريعة الاسلامية منزهاة عن العبث و خاصة عندما تشمل الخدعة على استخدام الكذب.
- 3- و من شروط جوازها ان لا تتضمن الخدعة نقضا للعهد الذي وقع بين الطرفين لان نقض العهد يحسب غدرا و هو ممنوع بأدلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا.
- 4- و الشرط الرابع لجوازها ألا تؤدي الخدعة الى ارتكاب محظور لأن الغاية لا تبرر الوسيلة^[38]. و هذه هي الشروط التي اشترطها العلماء لجواز الخدعة الحربية في الشريعة الاسلامية و لكل واحد منها ادلة لا يمكن تفصيلها في هذا المقال.

اهداف الخدعة الحربية

لكل انواع الخدعة هدف يقصدها المخادع و لكن بشكل عام يهدف الخداع أثناء الصراع المسلح، إلى تضليل العدو عن خطة و إجراءات إعداد الدولة للحرب، مع إخفاء فكرة أعمال وطبيعة إدارة الصراع المسلح واستخدام القوات، و كذا إجراءات التنسيق مع الدول الصديقة والحليفة، وذلك من خلال التركيز على وضع أجهزة جمع وتحليل المعلومات المعادية و المتعاونة معها، في حالة تصديق للأخبار و المعلومات المزيفة و الاقتناع بها. و القياس المستمر لردود أفعال العدو وتحليلها. و ضمان تحقيق أحسن النتائج، من إجراءات تنفيذ خطة الخداع. و تتلخص اهداف الخداع في الامور التالية:

- الف: التغلب على العدو في الحرب، و تحقق النجاح في كافة المجالات.
- ب: تقليل الخسائر في صفوف المسلمين، لأن النبي عليه السلام يقول (لزال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)^[39] و لأن امن الجنود من واجب المسلمين.
- ج: معرفة قوة العدو وكيفية خططهم و اسرارهم، و الدليل على ذلك أن التاريخ الاسلامي ملئ باهتمام القيادة الاسلامية منذ البداية باستطلاع احوال العدو خصوصا في غزوة النبي عليه الصلاة و السلام و بسبب ذلك الاهتمام البالغ في أن الاستخبارات لاتقل اهمية عن القوات المسلحة لأنها كالحرس اليقظة في اداء واجباتهم.
- د: تضليل العدو حيث يعتقد ما نريده و لفت نظر العدو الى اتجاهات اخرى لستر قوتنا.

هـ: اضعاف الروح المعنوية للعدو، و تسمى حربا نفسيا، لها اهمية و اهداف كبيرة في الحروب المعاصرة و يحسب فن لا يستهان به. تلك هي الأهداف الأساسية للخدعة الحربية التي تستعملها الدول المعاصرة و لأجلها جوزت الخداع في الحروب عند المسلمين قديما و حديثا.

الخداع المعاصر و مبادئه

لا فرق بين الخداع القديم و الجديد لكن الخداع المعاصر قد تطور اساليبه و مبادئه و له ادارات مخصصة تخطط له و ادارات تطبقه، الخدعة أن الإنسان يأتي بكلام أو بفعل يفهم منه الأعداء خلاف ما يحبونه و ما يريدونه من ضعف

المسلمين و من عدم قوتهم. و التورية أيضا تجوز في غير الحرب و ذلك في الأمور التي يُحتاج فيها إلى التورية^[40]. إذا الخدعة: وهي حمل التدابير الرامية الى اخفاء العمليات الحقيقية عن العدو. و دفعه الى الانتباه نحو عمليات موهومة. و تشتيت قواه بشكل يسمح للعمليات الحقيقية بتحقيق القسط الأكبر من الفاعلية و المفاجئة. و قلب توازن قوائمه المادية و المعنوية. و قد بين العسكريون للخداع مبادئ متنوعة نذكرها اجمالا في السطور التالية:

1. الإعداد الجيد و المنسق لكل إجراءات الخداع، بما يواكب قدرة الخصم، و إمكاناته، و طبيعة معتقداته، و مستواه الإدراكي.
2. و أن تكون الخدعة واقعية، مع عدم المبالغة، و أن تصل الإجراءات إلى العدو عن طريق القنوات الطبيعية للمعلومات.
3. يجب أن تحقق إجراءات و نشاطات الخداع إمكان وصول المعلومات المرغوبة إلى العدو، بأكثر من وسيلة، مع مسابرة هذه الإجراءات للواقع؛ ليقوم العدو ببناء تقديراته الخاطئة.
4. ضرورة السيطرة الحازمة و المركزية على كل إجراءات الخداع، بواسطة مجموعة التخطيط الحازمة، و عدم إطلاق الحرية للوحدات و التشكيلات لتنفيذ أي أعمال خداعية غير مخططة، أو مخالفة توقيت المخطط؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى التضارب، و كشف خطة الخداع.
5. فرض ستار من الأمن و السرية، حول الحقيقة المراد خداع العدو عنها، و كذا سرية خطة الخداع نفسها.
6. أن تؤدي الإجراءات الخداعية إلى رد فعل من الخصم، يحقق الهدف، و يسهل عمل قواتنا.
7. تحتاج خطة الخداع إلى استمرار تنسيق كل الجهود و الإجراءات الخداعية بين العناصر المنفذة.
8. دقة التخطيط لكل الإجراءات الخداعية، من حيث الكيفية، و التوقيت، و مكان التنفيذ، و الظروف، التي تنفذ فيها تلك الإجراءات.
9. البساطة و البعد عن التعقيد و يعني ذلك سهولة تنفيذ إجراءات الخداع، و ذلك باستغلال كل الموارد المتيسرة، و البعد عن التعقيد^[41].

و هناك مبادئ أخرى كثيرة للخداع المعاصر لا فائدة لذكرها هنا لان الهدف من هذه المقال تبين مكانة الخداع في الاسلام و عدم ممانعت استعمالها خلاف العدو.

النتيجة

و نستنتج من هذا المقال الامور التالية:

- 1- مخادعة العدو امر مشروع و قد وردت نصوص تدل على جوازها فينبغي للمسلم ان يخطط لها و يستعملها بشروطها.
- 2- و لايجوز استعمال الخدعة في حين تنقض العهد او تؤدي الى ارتكاب محظور.
- 3- ينبغي للمخادع المسلم ان يجتهد في استعمال المخادعة ان تحقق الاهداف المرجوة منها مثل تضليل العدو، تقليل الخسائر في صفوف المسلمين، معرفة خطط العدو و اضعاف روح المعنوية لهم.
- 4- و الاولى للمخادع المسلم ان يستفيد من الخدعة الحربية التي تناسب الزمان و المكان حتى تكون لها اقوى تأثير في تمويه الاعداء.

المراجع و المصادر:

1. النساء: 142.
2. البقرة: 8-9.
3. المعجم الوسيط - موافق للطبوع، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية، عدد الأجزاء / 2، [ترقيم الشاملة موافق للطبوع]، تم استيراده من نسخة: shamela، ج: 1، ص: 221.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج: 20، ص: 483.
5. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: 2، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ج: 2، ص: 945.
6. هو: محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرععي الدمشقي، ابو عبدالله شمس الدين: من اركان الاصلاح الاسلامي مولده ووفاته بجمشيق. تلمذ الشيخ الاسلام ابن تيمية و سجن معه في القلعة. من تصانيفه: شفاء العليل، زاد المعاد، اعلام الموقعين وغيرها (الاعلام: ج: 6 ص: 280 طبع: 2).
7. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي

- (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، -
1987م، 6، ج:3، ص:111.
8. الحيل في الشريعة الإسلامية، ص:32.
 9. النساء: 98.
 10. فاطر: 10.
 11. يوسف: 76.
 12. القلم: 44.
 13. البقرة: 15.
 14. سورة القلم آية (45)
 15. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 10، ج:5، ص:186.
 16. أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب الصفات التي يفرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج3 ص2197. أخرجه أحمد في مسنده: ج4 ص162.
 17. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج3 ص209.
 18. ابن هشام في السيرة ج2 ص267.
 19. سورة الطارق: 6.
 20. شرح سير الكبير، ج: 2، ص: 86.
 21. كشف الخفاء و مزيل الالباس، للعجلوني ج: 1، ص: 123.
 22. شرح صحيح المسلم، ج: 10، ص: 45، طبع في مكتبة الغزالي، المذكور هو كلام للامام النوري في شرح الحدث: الحرب خدعة، نقلناه بغير تصرف.
 23. جدد حياتك لمحمد الغزالي، طبع: دارالكتب، مطبعة حسان القاهرة، ص: 26.
 24. التجسس واحكامه في الشريعة الإسلامية لمحمد ركان الدغمي، ص: 93.
 25. أسس الدعوة وأداب الدعاة للدكتور محمد السيد الوكيل، طبع: دارالمجمع للنشر والتوزيع جدة، ص: 111.
 26. هو عمرو بن عبدود العامري من بني لؤي، قرشي فارس ادرك الاسلام ولم يسلم- قتله علي بن ابي طالب في غزوة خندق. (الاعلام للزوكلي ج5 ص81).
 27. الاستخبارات العسكرية في الاسلام، لعبدالله علي السلامة المحمد، ط الشركة المتحدة، ص: 196.
 28. القواعد الفقهية وهي اصول الفقه حقيقة، جمعها ورتبها وعلق عليها المفتي السيد المجددي البركتي، طبع: آرام باغ باكستان. انظر شرح السير الكبير للامام ابي بكر السرخسي المتوفى سنة 428، ص: 122.
 29. نفس المرجع، ص، 195.
 30. شرح صحيح مسلم، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 108 درس]
ابونائلة هو اخو كعب من الرضاة.
 31. اغائة اللفان، ج: 1، ص: 576. انظر فتح الباري، ج: 7، ص: 404.
 32. الحيل في الشريعة الإسلامية، ص: 420.
 33. المرجع السابق، ص: 420.
 34. المرجع السابق، ص: 420.
 35. المغيرة بن شعبة بن ابي عامر الثقفي أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان، شهد اليمامة، و فتوح الشام، والعواق ولاه عمر البصرة مات سنة (50هـ ق) (الاصابة، ج: 6، ص: 131).
 36. نقله عبد الوهاب بحيري عن السياسة الشرعية لابن قيم، ص: 417.
 37. قال عبد الوهاب بحيري: ذكره ابن الجوزي في الباب الثامن وابن القيم في السياسة الشرعية، ص: 417. ويقصد ان ابن الجوزي رواه في كتابه- الاذكياء-.
 38. البداية و النهاية لابن كثير، ج: 3، ص: 46.
 39. سنن ابن ماجه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلما، رقم الحديث: 2619.
 40. شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 598 درسا]
www.moqatel.com، الخداع، 2/2/2020.
 - 41.